

فرحان العنزي

هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

في معاملة الأطفال

لفضيلة الشيخ الدكتور

عزیز بن فرحان العنزي

-حفظه الله-

## هدى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَعَامَلَةِ الْأَطْفَال

الحمد لله، الحمد لله المحمود في عليائه، الحمد لله المعبود في أرضه  
وسمائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً يأمن من قالها  
وعمل بمقتضاها يوم لقائه؛ ما أودعها صدرٌ إلا استقر وانشرح، ولا أشربها  
قلبٌ إلا اطمأن وانفسح، ولا قُذِف بها على باطل إلا زهق وتزحزح، مَنْ  
استفتح بأيمانها ولج، ومَنْ خاصم ببرهانها فلج، ومن حاد عن بيناتها  
الواضحة السمحة ذلّ وزلج، هي كلمة التقوى، وهي العروة الوثقى، وهي  
التي جعلها إبراهيم كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليفه، الذي انتقاه من أظهر  
سلالة، واصطفاه للبلاغ والرسالة، وأيده بالحُجج البُلج، وخصّه بالنصر  
المؤزر والفلج، فتح الله به أعينًا عميًا، وأذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا.

صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الذين آزرُوا ووزرُوا،  
وأنصاره الذين آوُوا ونصروا، نجوم الهدى اللوامع، وغيوث الندى الهوامع،  
صلاةً وتسليمًا يهبان هبوب الرياح، ويتعاقبان تعاقب المساء والصباح، وعلى  
من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد....

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن التقوى وصية الله للأولين والآخرين؛

قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وتقوى الله ﷻ نجاتكم يوم يُنصب الصراط، قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجَّيَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وهي برهانكم يوم تلتبس الأمور، وهي برهانكم يوم تلتبس الأمور، ويختلط الظلام بالنور، قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، جعلنا الله وإياكم من المتقين، وسلك بي وبكم سبيل الصالحين، إنه خير مسؤول.

**عباد الله:** لقد بعث الله ﷻ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، بعثه بالحنيفية السمحة، فبينها تبيينًا، وأوضحها كم أراد ربه ﷻ إباحةً وندبًا، وتحريمًا وتحليلًا، حتى تمت سنة الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

وقد أمرنا الله ﷻ بطاعة هذا النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣].

بل بين ﷻ أن في طاعته الهداية التامة، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبيننا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ تدور عليه حياتنا كلها، فهو محور حياتنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ هذا النبي الكريم الذي:

- إذا نظرت إليه رسولاً وجدته أشرف الرسل والأنبياء.
- وإذا نظرت إليه زوجاً رأيته زوجاً مثاليّاً رائعاً عادلاً.
- وإذا نظرت إليه مجاهدّاً وجدته بطلاً شجاعاً مغوراً.
- وإذا نظرت إليه كريماً وجدته أجود الناس **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**، وهكذا سائر حياته **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.
- وإذا نظرت إليه مربيّاً وجدته من أفضل الناس تربيةً وتعليماً، وإرشاداً وتوجيهاً **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

وإذا ما جئنا يا عباد الله إلى جزئية من هذه الجزئيات المتناثرة في قضية عناية النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** بالأطفال، وجدنا النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** من أروع الناس تربيةً والتفاتاً إلى الأطفال، الذين هم قرة الأعين، وثمرّة الفؤاد، وزينة الحياة الدنيا.

يقول الله ﷻ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَابْنِينَ وَأَلْقِنَطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ﴾ [آل عمران: ١٤].

ولذلك الأطفال هم زينة الحياة الدنيا، وهم ثمرّة الفؤاد، وهم المتاع الحسن من متاع هذه الدنيا، وإذا ما جئنا إلى تربية النبي **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في قضية الأطفال والعناية بهم، نجد بأن الأمر قبل اقتران الزوج بزوجه، ذلك أن من حق الطفل على والده أن يختار له أمّاً صالححة، ومن حق الطفل على أمه أن تختار زوجاً صالحاً.

ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَنَا كُمْ مِنْ تَرَضُونَ دِينَهُ وَخُلِقَهُ فَرَوْجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ» (١).

ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «تُنكحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِحَسْبِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاطْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ» (٢).

ولذلك الطفل من حقه أن يعيش بين أبوين صالحين، وبين أبوين طيبين يُلقنانه الخير، ويُعوّده الصلاح.

**كذلك عباد الله** لم يقف الأمر عند هذا الحد، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ دعا الزوجين إلى أن يتحصنا بذكر الله، وذلك في أخرج المواقف، في المواقف الحميمة الخاصة، لا ينسى الرجل أن يذكر الله ﷻ؛ لأن هناك ثمَّ عدو متربص يريد أن ينتهز الفرصة للانقضاض حتى يُلوّث هذه النطفة، ولذلك قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ إِذَا آتَى أَهْلُهُ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا» (٣).

**نعم عباد الله:** إنه تحصينٌ بذكر الله الذي يُمثل سلاحًا فاتكًا فتاكًا بالنسبة للشيطان، فأشد ما على الشيطان يوم أن يذكر الإنسان الله ﷻ.

كذلك كان نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يعتني بقضية الأطفال، ويوجّه

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٠٨٤)، وابن ماجه في سننه (١٩٦٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في سنن الترمذي (٣/ ٣٨٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٩٠)، ومسلم في صحيحه (١٤٦٦)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٤١)، ومسلم في صحيحه (١٤٣٤)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الصحابة الكرام، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب إلى هؤلاء الأطفال منذ اللحظات الأولى التي ينتقلون بها إلى هذه الدار.

**نعم عباد الله:** إنه ذكر الله، فقد رُوي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بِإِسْنَادٍ محتملٍ للتحسين أنه رَخَّصَ بالأذان في أذن الطفل حتى يقرع سمعه أول ما يقرعه هذا الذكر العظيم المشتمل على التوحيد والشهادة لله، ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حتى لا يكون للشيطان حظٌّ ولا نصيبٌ مع هذا المولود في هذه الدار.

كذلك كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله ﷺ رحمةً للعالمين، كان يُعلم ويُوَجِّه ويُرشد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛

**من ذلك:** قضية العقيقة، فكان يقول **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:** «كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيْقَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

نعم إنها حقٌ للمولود على والده أن يذبحها في يوم سابعه، أو بعد ذلك من الأيام، وإن للعقيقة أثرًا عجيبًا في حياة المولود، فهي تُبعد الشيطان وحظه عن هذا المولود بحول الله وبإذنه وقوته.

**كذلك عباد الله:** كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إذا جيء له بالمواليد كان يُبرِّك عليهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وكان يمسح رؤوسهم بيده الشريفة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه.

**وأما قضية التبريك** فهو يدعو الله ﷻ لهم بالبركة، وكان **عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٢٨٣٧)، والترمذي في سننه (١٥٢٢)، والنسائي في سننه (٤٢٢٠)، وابن ماجه في سننه (٣١٦٥)، وأحمد في مسنده (٢٠٠٨٣)، من حديث سمرة بن جندب **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**، وصححه الألباني في سنن أبي داود (١٠٦/٣).

ربما حنَّكهم، فكان يُحنِّك الأطفال، فيلوك تمرَّةً ويخلطها بلعابه الشريف، ثم يدلُّك بها محلَّ الأسنان من الولد، وهذه سنَّةٌ ثابتةٌ عن نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن تأمل في تربية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وجدها تربيةً عجيبةً، تجمع بين متطلبات روح هذا الطفل وبدنه، تربية قائمة على التوفيق بين متطلبات الروح، ومتطلبات الجسد، وينزل إلى مستوى هؤلاء الأطفال، إلى مستواهم الإدراكي، وإلى مستواهم العقلي، هكذا كان يتعامل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

**ومن جملة ذلك:** إحسان اسم تربية الولد، فإن للأسماء تأثيرًا في الأولاد، ولذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ»<sup>(١)</sup>.

وقال: «وَأَصْدَقُهَا حَارِثٌ، وَهَمَامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ وَمُرَّةٌ»<sup>(٢)</sup>.

وكان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ربما أوصى بالتسمية بأسماء الأنبياء، فلقد سمَّى باسم إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سمى ابنه وسمَّى أولاد كثيرٍ من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وأرضاهم<sup>(٣)</sup>.

ولذلك ينبغي للإنسان أن يعتني باسم ولده سواء كان ذكرًا أو أنثى، سواء كان المولود ذكرًا أم أنثى يعتني باسمه على طريقة وهدى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولا شك بأن هذا فيه أثرٌ في نفسية الأطفال، وكم من

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٣٢)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٥٠)، والنسائي في سننه (٣٥٦٥)، وأحمد في مسنده

(١٩٠٣٢)، من حديث أبي وهب الجشمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في سنن أبي

داود (٤/ ٢٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣١٥)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

طفل عانى وتعرض لعقدٍ وأزمات بسبب اسمه حينما كان يُعير به بين أقرانه وزملائه في المدرسة.

ألا فلتتقوا الله يا عباد الله، ولتحرصوا كذلك على الأسماء التي فيها نوعٌ من الشجاعة، ونوعٌ من الإقدام، ونوعٌ مما يتناسب مع الابن لا سيما الذكر، وابتعدوا عن هذه الأسماء الرخوة التي تدعو إلى اللين والرقّة والتكسر التي ابتلي بها كثيرٌ من الناس.

**كذلك عباد الله:** كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ربما مازح الأطفال وداعبهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلقد كان إذا عاد من سفرٍ تلقاه الأطفال فيفتح يديه الشريفتين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ يحتضنهم ويداعبهم، فيفرون منه ها هنا وها هنا، وربما أركبهم أمامه وأردفهم خلفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وقال مرةً لأحد غلمان الصحابة: «يَا ذَا الْأُذُنَيْنِ»<sup>(١)</sup>.

وجاء إلى أخ لأنس بن مالك ويكنى بأبي عمير، وقد كان عنده طائرٌ فطار من قفصه، فكان يقول له: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ: مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ؟»<sup>(٢)</sup>.

يداعب هذا الطفل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك من المهم جدًا أن تُشبع رغبة الأطفال في هذا اللهو المباح، وفي هذا المزاح البريء، وفي هذا التوسع في هذا الجانب، فإن للأولاد رغبةً

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٥٠٠٢)، والترمذي في سننه (١٩٩٢)، وأحمد في مسنده (١٢١٦٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في سنن أبي داود (٣٠١ / ٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦١٢٩)، ومسلم في صحيحه (٢١٥٠)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



جامحةً في قضية المزاح واللعب، ولقد مارسه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

وأيضاً كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من جملة تربيته لأطفال الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ زرع الثقة فيهم، وإعطائهم المكانة اللاتقة بهم، يقول أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مرَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على غلمانٍ فسَلَّم عليهم" (١).

يا لله! ما هذا الخلق؟ إنه خلق محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ابتدأ الغلمان هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالسلام، ولم ينتظر كما ينتظر كثير ممن أنف من السلام على الأطفال، بل بادرهم وسبق إليهم بالسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ولك أن تتخيل مدى هذا الشعور والإحساس بالفرح والقيمة حينما يتلقى الطفل السلام من هؤلاء الكبراء لا سيما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كذلك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ كان مرةً من المرات في مجلسٍ من المجالس، فأُتي بإناءٍ فيه لبن، فشرب منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فالتفت عن يمينه فإذا غلامٌ من غلمان الصحابة، وعن يساره أشياخ المهاجرين والأنصار أمثال أبي بكرٍ وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ استأذن الغلام في أن يُعطي هؤلاء الأشياخ، فما كان من الغلام إلا أن قال قولاً عجيباً ينم عن عمق إيمانه ومحبه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: والله لأؤثر بنصبي منك أحداً يا رسول الله، قال الراوي: فتلّه فوضعه في يدي الغلام (٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٢٤٧)، ومسلم في صحيحه (٢١٦٨)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٣٥١)، ومسلم في صحيحه (٢٠٣٠)، من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولا شك بأن هذا زرعٌ للثقة، وإعطاءً للمكانة، فهذا الغلام لو أن النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أعطى غيره لربما حصل له من انكساف خاطر، ومن خجلٍ ربما يؤثر في نفسه طوال عمره وحياته، هذا هو نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ينثرُ محبته ومشاعره على أولاده وأولاد بناته، وعلى أطفال المسلمين نثرًا عجيبيًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فلم تمنعه أُبّهة الرسالة، ولا عظمة النبوة، ولا علو المكانة، ولا هذا الشغل الذي أخذ بحياته، لم يمنعه أبدًا أن يقطع وقتًا لأطفاله ولأطفال بناته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

فكان كما يقول أبو هريرة: "خرجت مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لا يكلمني ولا أكلمه، وظن أبو هريرة أن أمرًا عظيمًا قد حصل، ثم جاء عند بيت فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فرفع صوته من وراء الباب يقول: «أَنْتُمْ لُكْعُ؟» يُنادي حسنًا وكانت أمه تجهزه وتُجمِّله وتزيّنه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، فما لبث أن خرج حسنٌ فاعتنقه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، واعتنق جدّه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم قال: «والله إني أُحِبُّهُ» هكذا كان نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ<sup>(١)</sup>.

ومرّة رفع أحد أولاد بناته فاطمة على قدميه وأمسك بكفيه، ثم قال له: «ارْقًا» فأخذ يصعد كما يصعد الأطفال حينما يلعبون مع آبائهم، فوضع قدميه على صدر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، ثم ما كان من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلا أن اعتنقه وقبله<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٢٢)، ومسلم في صحيحه (٢٤٢١)، من حديث

أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) لم أقف عليه.

وهكذا كان أطفال الصحابة إذا سمعوا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خرجوا من بيوتاتهم ليلاقونه، فكان يمسح خدودهم، ويمسح رؤوسهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ولم يكونوا يفرّون كما يفعل بعض أطفال المسلمين من آبائهم؛ لأن بعض الآباء إذا دخل البيت كأنه أسدٌ غضنفرٌ، يأتي بجبينٍ مقطّب، وبوجهٍ مكفهر، ويأتي -والعياذ بالله- يدخل وكأنه داخلٌ إلى ساحة معركة، فيفرُّ الأطفال من ها هنا ومن ها هناك.

وبعض الناس وللأسف - وهي رسالة إلى الموظفين، وإلى من يعمل في السوق - بعضهم يسحب مشاكله إلى بيته، بعضهم يسحب مشاكله الوظيفية والعملية إلى بيته فيخلط الأوراق، وربما بعضهم والعياذ بالله نفس عن صدره وعن غيظه بسبب امرأته، أو بضرب أولاده، وهذه طريقة الحمقى والمغفلين، وطريقة الجاهلين، وهي سببٌ من أسباب وجود كثيرٍ من الأزمات، ووجود كثيرٍ من العقْد التي يحملها كثيرٌ من الأطفال طوال عمرهم، وطوال حياتهم.

ألا فلتتقوا الله يا عباد الله، ولتحرصوا على النظر في هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، وفي تعامله مع أطفاله ومع أطفال المسلمين، أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وصَلَّى اللهُ اللهُ وَسَلَّمَ وبارك على النبي المصطفى، وعلى من بأثره اقتفى إلى يوم الحشر والمنتهى.

أما بعد...

فاتقوا الله يا عباد الله، واعلموا أن هدي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مع الأطفال لا تحتمله خطبة ولا خطبتان، وإنما الرجوع في ذلك لي ولكم إلى هديه في دواوين السنَّة، فانظروها ببارك الله فيكم وتأملوها، وترجموها ترجمةً عمليةً في واقع حياتكم مع أولادكم ومع الناس أجمعين.

فهذا نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ رغم هذه المساحة الواسعة التي كان يُضيفها ويُعطِيها لهؤلاء الأطفال من المزاح واللعب، ومن تحقيق وترهم في قضايا كثيرة إلا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يزرع في تراب ترائبهم الإيمان، كان يزرع في قلوبهم تقوى الله ﷻ، والتوكل عليه ﷻ.

يقول ابن عباس - وابن عباس كان غلامًا يافعًا-، مات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعمره قيل: خمس عشر سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة، ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُرْدِفَهُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ خلفه ثم قال له: «يَا غُلامُ» يقول ابن عباس: قلت: لبيك وسعديك، قال: «أَحْفَظُ اللهُ يَحْفَظُكَ، أَحْفَظُ اللهُ تَحْدَهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهُ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئِكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَأَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ،

رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١).

يا لها من وصية عظيمة أوصى بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ابن عمه ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه، والنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان يقول: «هُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ» (٢).

كان النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يدعو دائماً الآباء أن يكونوا قدوةً حسنة، ومثلاً حياً في قضايا التربية والتعليم، فإن التربية بالفعل أقوى من التربية بالقول، يقول الله ﷻ عن شعيب: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

فمتى ما رأى الطفل والديه يُطَبِّقان ويُترجمان هذا الإسلام، وهذا الدين، وهذه الأخلاق، لا شك بأنهم سيكتسبونها اكتساباً، وينتزعونها انتزاعاً، ويُشربونها من خلال أقوالهم وأعمالهم وتصرفاتهم، فإن العرب قديماً قالت: الولد سرُّ أبيه، والطباع سرّاقة، فكن أنت كما تحبُّ أن يكون ولدك إقبالاً أو إدباراً، ارتفاعاً أو اتضاعاً نسأل الله السلامة والعافية.

ولذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان عند أحد بيوتات الأنصار، فكانت امرأة من الأنصار تقول لطفل لها وقد قبضت كفها: تعال هاك أعطك، فالتفت النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إليها فقال: «مَا تُرِيدِينَ أَنْ تُعْطِينَ؟» قالت: تمر، قال:

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٢٥١٦)، وأحمد في مسنده (٢٦٦٩)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في سنن الترمذي (٤ / ٦٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٥)، وأحمد في مسنده (٦٦٨٩)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال الألباني في سنن أبي داود (١ / ١٣٣): حسن صحيح.

«لَوْ لَمْ يَكُنْ لِحَسِبَتْ عَلَيْكَ كَذَبَةً»<sup>(١)</sup>.

ما ترك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هذا الأمر يمر هكذا، حتى نبه عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

ومرة من المرات كان عند أحد الأنصار رجلٌ من الأنصار، فجاء أحد أبناءه من الذكور يركض ويحتضن والده، فأخذه وشمّه وقبله، وأجلسه في حجره، وجاءت بُنْيَةٌ جاريةٌ صغيرة من بناته، فأخذها ولم يفعل بها فعلة بالغلام، وأجلسها بجواره، فانتفض النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لهذا المشهد وما تركه يمر هكذا، بل أنكر عليه بقوله: «هَلَّا عَدَلْتَ بَيْنَهُمَا؟»<sup>(٢)</sup>.

ولذلك النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كان المربي الفاضل المثالي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

دعونا من كثيرٍ من النظريات التربوية التي تأتونا من هنا وهناك، وأدمنوا وأنعموا النظر في دواوين السنّة، وفي حياة محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ، والتي تُمثّل منهج حياة في جميع أمورنا وشؤوننا، انظروا فيها، وتأملوها، واقتبسوا منها هذا القبس الذي يُنير لكم الدروب في دياجيل ظلمات هذه الدنيا.

وفقني الله وإياكم لاتباع الكتاب والسنّة، وهداني وإياكم إلى ما فيه رضوانه والجنة، وأسأل الله ﷻ أن يُعزّ الإسلام والمسلمين، وأن ينصر عباده الموحدين، وأن يجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر أوطان المسلمين إنه هو

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٧٠٢)، من حديث عبد الله بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. ولم أفهم على حكم الألباني فيه.

(٢) أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار (٥٨٤٧)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٠٩٨).

العزیز الحکیم.

اللهم احفظنا من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيمننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم وفق جميع المسلمين والمسلمات، المؤمنين والمؤمنات لما تُحب وترضى، اللهم وفق ولاة أمورنا لما تُحب وترضى، وخُذ بنواصيهم للبرِّ والتقوى، ووفق اللهم إمامنا وولي أمرنا بتوفيقك، وأيده بتأييد، اللهم انصر به دينك، وأعزَّ به كلمتك، واجعله رداءً وعوناً ونصراً للإسلام والمسلمين، ووفق اللهم جميع حكام الإمارات لما تُحب وترضى، وخُذ بنواصيهم للبرِّ والتقوى يا رب العالمين.

اللهم ارزقنا خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ونسألك اللهم نعيماً لا ينفذ، وقرّة عينٍ لا تنقطع، ونسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ونسألك اللهم لذّة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقاءك في غير ضراءٍ مضرة، ولا فتنةٍ مضلّة، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم زيننا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين، اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد.

عزیز  
فرحان

الدكتور عزیز بن فرحان الجمالی العنزى

Aziz Farhan AlHeblani AlEnezi